

## حرب تشرين الأول المجيدة والثورة الفلسطينية

الدكتور سعيد حمود

ليس ممكنا تصور أفضل من بداية حرب عريضة بالشكل الذي بدأت فيه بعد ظهر السادس من تشرين الأول وفي ظل الظروف التي كانت سائدة قبل ذلك التاريخ ، بالنسبة للثورة الفلسطينية وبالنسبة للقضية التي من أجلها تقاتل . ويمكننا القول ، بكلام آخر ، أن الثورة الفلسطينية لم تكن ، في أكثر تحليلاتها تفاقولا ، تحلم باشتعال الجبهات العربية على النحو الذي حدث . ان خروج الجيوش العربية لمقاتلة اسرائيل ، بعد فترة صمت قاتل غير قصير ، بصرف النظر عن حدود القرار الذي وجه تحركها ، يعتبر عاملا حاسما في الصراع الذي تخوضه الثورة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني المغتصب . ومهما كانت قاسية ظروف حالة اللاسلم - اللاحرب على الاوضاع العربية وخاصة في مصر وفي سوريا وعلى جيشيهما ، فانها كانت أشد قسوة ومرارة بكثير على وضع الثورة وعلى مقاتليها . وعندما كانت الثورة تركز فكرها وتخطط لخطواتها ولتصعيد نضالها بهدف الخروج من المأزق - الازمة ، ومن حالة الانحسار التي عاشتها طويلا ، بالذات منذ ايلول عمان الاسود في العام ١٩٧٠ ، لم تكن تجد مناصا من رؤية اشتعال الجبهات العربية في وجه العدو الاسرائيلي ، مناسبة تاريخية لا مثيل لها وعاملا أساسيا من عوامل الخروج من المأزق . كان وما زال في صلب قناعة الثورة ، ان اشعال القتال وازكاء روح الجبهة وانعاش آمال الجماهير بعدم استحالة تحقيق أهدافها ورفع حالة الظلم والقهر المهيمنة عليها ، انما هي العوامل الرئيسية الممهدة للنهوض الثوري العارم الذي يضع المنطقة كلها على مسار حرب الشعب الطويلة المكلفة بالنصر في نهاية المطاف . ولقد كان صحيحا وموضوعيا ، إذن ، ان ترى الثورة الفلسطينية ، كقصيل طبيعي مقاتل ، من فصائل حركة التحرر العربية ، بركود الجبهات العربية ، وما ترتب عليه من نتائج سلبية على مختلف المستويات ، كان طبيعيا ان ترى الثورة بكل هذا ، مناخا لتحطيم معنويات الجماهير ، وتأخير نهوضها الثوري ، وجرها الى مواقع اليأس واللامبالاة .

من هنا ومع انطلاق النار العربية وبدايات الزحف العربي المقدس يوم السادس من تشرين الأول المجيد ، وجدت الثورة الفلسطينية نفسها في تلاحم مصري لا مثيل له مع الانطلاقة المقاتلة . وابتان القتال شعرت الثورة وقمعت وتحركت وكانت الحليف الرئيسي الطبيعي للرزاض المنهزم . ونسوف تظل أيام القتال المجيد وساحاته وأعماق فلسطين شاهدا يارزا على دور المقاتل الفلسطيني وعلى بطولته وعلى عطائه السخي وعلى الاثر الفاعل الذي أحدثه هذا الدور . وعندما نستعرض بعد قليل عمليات الثورة الفلسطينية خلال الحرب على الجبهات العربية وفي أعماق فلسطين المحتلة ، فانتا لن نتمكن من الحديث الا عن جزء من الحقيقة ، لأن ضخامة الحرب نفسها من جهة ، والتعمد في التعتيم على الدور الفلسطيني من قبل العدو ومن قبل غيره ، من جهة أخرى ، أحدث ستارا على الحقيقة كاملة . رغم ذلك فقد كان دور المقاتل الفلسطيني رائعا ومعطاء وتعبيرا صادقا عن معنى اندلاع الحرب بالنسبة للثورة وقضيتها . البندقية الفلسطينية،